

العدالة والسعادة البشرية كما تتجلى في كتابات الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

الدكتور عبید الرحمن طیب^(١)

التمهيد: العدالة مظهر من مظاهر أسماء الله الحسنى وقوام الكون ومداره فالكائنات والجمادات والحيوانات والنباتات حتى جسم حضرة الإنسان تعمل وتسير بفضل العدالة الإلهية الكائنة فيها وهي غاية من غايات بعثة الأنبياء والرسل ومقصد من مقاصد القرآن الكريم وعليها تعتمد السعادة البشرية في هذه الدنيا والآخرة وهي نعمة من نعم الله التي يكرم بها على عباده الصالحين ويعاقب بها المنكرين فيدخلهم في جنات النعيم أو في نار جهنم خالدين.

كرّس الإمام بديع الزمان النورسي حياته على خدمة القرآن الكريم وتوضيح مبادئه وشرح نظرياته وجاء بأعاجيب حيث أتى بشرح واف منطقي فلسفي معاصر يشفي غليل الظلمة ويدحض مزاعم الماديين المتغربين. وتتميز شروحه وتفسيره بالوضوح والثقة بالنفس والشمولية والجامعية التي قلما توجد في مكان آخر. وهذه الورقة تتناول العدالة بمختلف أنواعها والسعادة البشرية الحقيقية في هذه الدنيا وما بعدها على ضوء كتاباته.

العدل والعدالة لغة واصطلاحاً: العدل والعدالة نفس الشيء فالعدل اسم وفعل والعدالة مصدر له ويستخدم كاسم ويعطي معاني إضافية إذ أضيفت إليها صفة. ففي قاموس المعاني: "١- العدل - اسم من أسماء الله الحسنى، الذي لا يظلم ولا يجور وهو وصف بالمصدر على سبيل المبالغة. ٢- الإنصاف، وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه. و٣- العدل - العادل، ويقال للواحد وغيره. ويقال امرأة عدل، وعدلة أيضاً. ٤- العدل في الحكم: لزوم الحق وعدم الجور"^(٢).
ويستخدم العدل كفعل: عدلاً وعدولاً وعدالة ومعدلة فهو عادل والمفعول معدول - للمتعدى. وعدل بين المتخاصمين: أنصف بينهما وتجنب الظلم والجور، أعطى كل ذي حق

(١) الأستاذ المشارك بمركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية اللغات، جامعة جواهر لال نهرو - نيودلهي (الهند).

(٢) قاموس المعاني عربي - عربي أون لاين، المادة: ع د ل.

حقه، وعدل في أحكامه: أنصف، كان عادلاً. وعدل يعدل: عدالة وعدولة فهو عدل وعادل. وعدل القاضي: كان منصفاً متجنباً للظلم والجور مرضي الحكم عكسه ظلم^(١).

فالعدل والعدالة لهما نفس المعاني إلا أن العدالة إذا تستخدم في حقل خاص فيطراً على معانيها تغير خفيف ففي قاموس المعاني "العدالة في الفلسفة: إحدى الفضائل الأربع التي سلم بها الفلاسفة من قدم وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة. والعدالة الاجتماعية (الاقتصاد) نظام اقتصادي يعمل على إزالة الفوارق الاقتصادية الكبيرة بين طبقات المجتمع. والعدالة (الحديث) لفظ جامع للشروط التي يجب توافرها في راوي الحديث وهي أن يكون مسلماً، بالغاً، عاقلاً، سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة. والعدالة (عامة) تشكل العدالة معنى الحياد التام وعدم التحيز ويقوم على إعطاء ذي حق حقه وعدم الاعتداء على الآخرين"^(٢).

فاتضح لنا مما سبق أن العدل والعدالة نفس الشيء وتستخدم العدالة في عدة معاني في مختلف الحقول ففي الاجتماع يعني إزالة الفوارق الاقتصادية وفي الفلسفة يعني توازن كل شيء في الكون وبقاء العالم على دعائم العدل وفي الحديث يعني ثقافة الرواة ونزاهتهم إيماناً وصدقاً. وفي عامة الأحوال يعني الحياد التام وإعطاء كل ذي حق حقه. ويرى الإمام النورسي أن نظام الكون كله يقوم على العدل الإلهي فالعالم مظهر من مظاهر العدالة الإلهية فالكائنات كلها قائمة عليها وتسير بها بدون خلل أو نقص ويجري نظام العدالة في كافة الكائنات والموجودات والنباتات والجمادات حتى الجسم الانساني والكون كله والدين والشريعة أرسلت إلى البشرية ليقوم الناس بالقسط المطلوب من الإنسان من خالقه العادل الحكيم أن يقضي حياته منسجمة مع نظام العدل الإلهي وبما أنه أعطي حرية كاملة لقضاء حياة حسب رضاه فقد قال عز وجل ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠) وقال عز وجل ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٢-٣) فمن البديهي أن الذين يجعلون حياتهم منسجمة مع نظام هذا الكون ويتبعون خالق هذا الكون سوف يجزون جزاءً حسناً ومن يخالف نظامه ويتبع هواه وينكر خالق هذا الكون يجب أن يعاقب لأنه يرتكب ظلماً شنيعاً في حق خالقه. فالسعادة البشرية لن تتحقق إلا أن تكون منسجمة مع نظام الكون وإلا تكن

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

فسادا وخرابا ودمارا وللأنفس والأرواح ويعم الظلم والجور في الدنيا فيخسر البشر السعادة الدنيوية وبالتالي السعادة الأبدية في الآخرة.

العدالة مظهر من مظاهر أسماء الله الحسنى: العدل والعدالة كما قيل سابقا نفس الشيء والعدل هو من أسماء الله الحسنى وهذا الكون جارٍ وسارٍ بإسمه الأعظم ألا هو العدل. ويكتب الإمام النورسي قائلا: "ثم انظر من خلف التجلي الأعظم لإسم "الحكم" إلى التجلي الأعظم لإسم "العدل"، تره يدبر جميع الكائنات بموجوداتها ضمن فعاليات دائمة موازينه الدقيقة ومقاييسه الحساسة ومكاييله العادلة بحيث يجعل العقول في حيرة وإعجاب، فلو فقد نجم من الأجرام السماوية توازنه لثانية واحدة أي إذا انفلت من تجلي اسم "العدل" لحلّ المرح والمرج في النجوم كلها ولأدى - لا محالة - إلى حدوث القيامة"^(١).

وتفسيرا ل بسم الله الرحمن الرحيم يكتب: "وفي الرحمن تلميح إلى نظام العدالة والإحسان وفي الرحيم إيماء إلى الحشر. "وكذلك يوضح الحمد لله رب العالمين ففي رب العالمين إيماء إلى العدالة والنبوة أيضا"^(٢).

نظام الكون قائم على العدالة الإلهية: هذا الكون العظيم الهائل منذ البداية حتى الآن لا يزال قائما وسائرا وفق نظام كائن فيه بدون توقف وفشل وذلك بفضل العدالة الإلهية التي يعتمد عليها كل ما في هذا الكون من الكواكب والأجرامات والجمادات والنباتات والحيوانات وغيرها. وقد أوضح الإمام النورسي هذه النقطة بأسلوب رائع. فيشرح قائلا: "فإن شئت فأنعم النظر في الموجودات كلها، ابتداء من حجيرات الجسم إلى الكريات الحمر والبيض في الدم، ومن تحولات الذرات إلى التناسب والانسجام بين أجهزة الجسم، ومن واردات البحار ومصاريقها إلى موارد المياه الجوفية وصرفياتها، ومن تولدات الحيوانات والنباتات ووفياتها إلى تحريبات الخريف وتعميرات الربيع، ومن وظائف العناصر وحركات النجوم إلى تبدل الموت والحياة، ومن تصادم النور والظلام إلى تعارض الحرارة والبرودة. وما شابهها من أمور، كي ترى أن الكل: يوزن ويقدر بميزان خارق الحساسية، وأن الجميع يكتال بمكيال غاية في الدقة، بحيث يعجز عقل الإنسان أن يرى إسرافا حقيقيا في مكان وعبثا في جزء..."

(١) اللغات ص: ٥٣٨-٥٣٩.

(٢) إشارات الإعجاز ص: ٢٣.

وإن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لإسم "العدل" إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمّر البشرية بإقامة العدل. وإن ذكر الميزان أربع مرات في سورة الرحمن إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين في أربع مراتب وبيان لأهمية الميزان البالغة ولقيمته العظمى في الكون. وذلك في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ (الرحمن: ٧-٩) (١).

"وهل تريد برهاناً على إنجاز الأعمال بالعدل والميزان؟ إن منح كل شيء وجوداً بموازين حساسة، وبمقاييس خاصة، وبالباسه صورة معينة، ووضعه في موضع ملائم... يبين بوضوح أن الأمور تسير وفق عدالة وميزان مطلقين" (٢).

العدالة هي غاية بعثة الأنبياء والرسول: أرسل الله الأنبياء والرسول لهداية البشرية وإقامة العدل بين الناس وذكر ذلك القرآن الكريم بمناسبات عديدة فقد قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ (النحل: ٩٠) وصرّح غايات ومقاصد بعثة الأنبياء والرسول قائلاً: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾ (الحديد: ٢٥).

وكذلك غايات وأهداف البعثة المحمدية ﷺ إقامة العدل والقسط بين الناس. وهذا ما يدل عليه الآيات القرآنية والسنة النبوية ﷺ. فإقامة العدل فريضة من فرائض الإسلام ودعامة من دعائمه لم يتنازل عنها قط. بل أولى بها اهتماماً أكثر حتى أصبحت ميزة لا يتنافس فيها أي ديانة ولا نظام حياة ولا حكومة. وجعل العدل والقسط أساساً ومبدأً لا يجوز تركه ولا يجوز المصالحة عليه بل حتى أعطى الإسلام تعليمات أنه لا يجوز الظلم والجور وعدم القسط مع من لا يؤمن به ولا يجوز الميل إلى المسلمين وعدم الانصاف مع غير المسلمين فيقول عز وجل ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُؤًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨). فلا الشفقة ولا الليونة والمرونة للأقرباء والأعزاء في شأن إقامة العدل والقسط حيث قال النبي ﷺ: "وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (٣) وقد أوضح أصحاب النبي ﷺ وأتباعه وعلماء الإسلام هذا المبدأ بصورة جلية وقدموا نماذج حية لها. فلما حضر

(١) للمعات ص: ٤٧٥-٤٧٨.

(٢) الكلمات ص: ٦٩-٧٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق، الحديث رقم: ١٦٨٨.

سفراء الإسلام إلى بلاط رستم ويزدجرد أعلنوا أننا جئنا لنخرج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام. وقد قال الصحابي الجليل ربعي بن عامر في بلاط كسرى: إن الله قد ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل وسماحة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة". ويكتب الإمام النورسي: "فصاروا (أي جماعة الصحابة) في زمن يسير أساتذة مرشدين وسياسيين وحكاما عادلين لأرقى الأمم حضارة واجتماعا وسياسة فحكموا العالم شرقا وغرباً ورفرت رايات عدالتهم براً وبحراً"^(١).

العدالة هي من مقاصد القرآن: يكتب الإمام النورسي ضمن تفسير هذه الآيات: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ (الرحمن: ١-٤) "أن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر والعدالة"^(٢).

وتفسيرا ل بسم الله الرحمن الرحيم يكتب "وفي الرحمن تلميح إلى نظام العدالة والإحسان وفي الرحيم إيماء إلى الحشر. "وكذلك يوضح الحمد لله رب العالمين ففي رب العالمين إيماء إلى العدالة والنبوة أيضا"^(٣).

وفي تفسير آيات سورة البقرة يكتب: "وأیضا فيها أحكام ضمنية: كالإشارة إلى التوحيد والنبوة والحشر والعدل. أعنى المقاصد الأربعة المشهورة، مع أن في أكثر السور يكون المقصود بالذات واحدا منها، والباقي استطراديا"^(٤).

وفي تفسير الآية القرآنية ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْهُ...﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ عَبْدُ أَرْبِكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فاعلم أن المقصد الأصلي في القرآن إرشاد الجمهور إلى أربعة أساسيات هي إثبات الصانع الواحد والنبوة، والحشر والعدالة..."^(٥).

الشريعة هي العدالة الإلهية: إن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والرازق ويده مفاتيح خزائن الأرض والسماوات. وهو الذي ينزل من السماء ماء فيخرج به الثمرات فيجب أن

(١) الشعاعيات ص: ١٦٣.

(٢) إشارات الإعجاز ص: ٢٢.

(٣) إشارات الإعجاز ص: ٢٣.

(٤) إشارات الإعجاز ص: ٣٨.

(٥) إشارات الإعجاز ص: ١٧٢.

توزع على الناس بالعدل والقسط ولكن الناس خلقوا بعقول منفردة ومواهب وطاقات مختلفة فكيف يمكن أن توزع خزائن الكون وثمارها بعدالة؟ يقول عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴿٢٢﴾ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ (البقرة: ٢١- ٢٢). ويكتب الإمام النورسي في تفسير هذه الآية: "تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي.. ثم لأن عقل كل أحد لا يكفي في درك العدالة احتاج النوع إلى عقل كلي للعدالة يستفيد منه عقل العموم. وما ذلك العقل إلا قانون كلي، وما هو إلا الشريعة... ثم لمحافظة تأثير تلك الشريعة وجريانها لا بد من مقنن وصاحب ومبلغ ومرجع، وما هو إلا النبي ﷺ...^(١) وفحوى الكلام أن الشريعة هي مظهر من عدالة الله سبحانه وتعالى وهي العدالة بذاتها.

العدالة المحضة والعدالة الإضافية: قسّم الإمام النورسي العدالة إلى عدالة محضة وعدالة إضافية وأوضح ما هو الفرق بين الاثنتين قائلا: "أما إيضاح الفرق بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية فهو : إن حق الشيخ البرئ الواحد لا يبطل لأجل الناس جميعا، أي أن حقه محفوظ، وهذا المعنى هو الذي تشير الآية الكريمة: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) فلا يضحى بفرد واحد لأجل الحفاظ على سلامة الجميع، إذ الحق هو حق ضمن إطار الرحمة الإلهية، فلا ينظر إلى كونه صغيرا أو كبيرا، لذا لا يفدى بالصغير لأجل الكبير، ولا بحياة فرد وحقه لأجل سلامة جماعة والحفاظ عليها، إن لم يكن له رضى في الأمر. أما إذا كانت التضحية برضاه ورجبة منه فهي مسألة أخرى. أما العدالة الإضافية فهي أن الجزء يضحى لأجل سلامة الجميع، فهذه العدالة لا تأخذ حق الفرد بنظر الاعتبار لأجل الجماعة، وإنما تحاول القيام بنوع من عدالة إضافية من حيث الشر الأهون. ولكن إذا كانت العدالة المحضة قابلة للتطبيق فلا يصر إلى العدالة الإضافية، وإن صار إليها فقد وقع الظلم. فالإمام علي عليه السلام قال: إن العدالة المحضة قابلة للتطبيق، كما كان عليه في عهد الشيخين. لذا حاول بناء الخلافة الإسلامية على تلك القاعدة من العدالة المحضة، بينما معارضوه كانوا يقولون إن هذه العدالة المحضة غير قابلة

(١) إشارات الإعجاز ص: ١٤٤-١٤٥.

للتطبيق، حيث هناك عواقب ومشكلات كثيرة تظهر أثناء تطبيقها، فصار اجتهادهم إلى العدالة المحضة^(١).

العنصرية والقومية العمياء ضد العدالة: الإسلام دين إلهي أرسل إلى البشرية كافة ولجميع الأزمان والعصور والعدالة الإلهية تعم الجميع ويمنع كل ما يعارض العدالة الإلهية ويحرم الإنسانية منها ويعرضها للظلم والتعدي على بني نوعه ومنها العنصرية والقومية وقد ندد القرآن الدعوة إلى العصبية العنصرية والقومية وسماها الحمية الجاهلية فقد قال عز وجل:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

(الفتح: ٢٦).

وقد شهد التاريخ أنه لما نسى أبناء الاسلام مبادئ العدالة الإسلامية وهولوا وراء القومية والعصبية الجاهلية فبدأ التقاتل والتناحر بينهم مما أدى إلى خسارة الأنفس والأموال الجسيمة وحرمان البشرية من العدل الإسلامي وقد شرح الإمام النورسي أحداث ما جرى في تاريخ الإسلام قائلاً: أما مقاومة الحسن والحسين رضي الله عنهما للأمويين فهي في حقيقتها صراع بين الدين والقومية، إذ اعتمد الأمويون على جنس العرب في تقوية الدولة الإسلامية، وقد موهم على غيرهم، أي فضلوا رابطة القومية على رابطة الإسلام فأضروا من جهتين: الأولى: آذوا الأقوام الأخرى بنظرتهم هذه، فولدوا فيهم الكراهية والنفور. والثانية: إن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس على وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأني له أن يبلغ العدالة! بينما (الاسلام يجب ما قبل) من عصبية جاهلية، لا فرق بين عبد حبشي وسيد قرشي إذا أسلما. فلا يمكن إقامة رابطة القومية بدلا من رابطة الدين في ضوء هذا الأمر الجازم. إذ لا تكون هناك عدالة قط وإنما تهدر الحقوق ويضيع الانصاف. وهكذا فإن سيدنا الحسين عليه السلام قد تمسك برابطة الدين، وهو محق في ذلك، لذا قاوم الأمويين حتى رزق مرتبة الشهادة^(١).

(١) المكتوبات ص: ٦٦-٦٧.

(١) المكتوبات ص: ٦٨.

وعلى مستوى العالم شهد تاريخ البشرية ما أتت به العصبية القومية والحمية الجاهلية من مظالم وهلاك ودمار شامل على أبناء آدم. فوضع الحكام المستبدون والحكومات الظالمة أسسا بل حيويا وذرائع لأجل تطمين العالم وإشباع أنانيتهم حيث قالوا: "إنه يضحي بالفرد لأجل الجماعة، ولا ينظر إلى الحقوق الجزئية من أجل سلامة الأمة. وقد فتح هذا الدستور ميدان مظالم شنيعة لا ير مثلها حتى في القرون الأولى. بينما العدالة الحقيقية للقرآن المبين أنه لا يفدى بحق الفرد لأجل الحفاظ على الجماعة، فالحق حق، لا ينظر إلى كثيره وقليله"^(١).

ويضيف الشيخ النورسي قائلا: "إن القانون الأساس للسياسة البشرية هو: أنه يضحي بالأفراد من أجل سلامة الأمة، ويفدى بالأشخاص حفاظا على الجماعة، ويرخص كل شيء في سبيل حماية الوطن"^(٢).

ويصور الإمام النورسي جرائم وفظائع ارتكبت تحت ذريعة مثل هذه القواعد والأسس: "إن الحربين العالميتين قد نشبتا من سوء استعمال هذا القانون البشري الأساس، فأبادت نهائيا ما توصلت إليه البشرية من رقي منذ ألف سنة. كما سمح هذا القانون بأخذ تسعين بريئا بجريرة عشرة من الجناة، وأفتى بإبادتهم، كما سمح بتدمير قضية كاملة لجرمة مجرم واحد لأغراض شخصية مستترة تحت اسم المصلحة العامة"^(٣).

مقابل تلك القاعدة والعنصرية والقومية العمياء يقدم الشيخ قاعدة أساسيا ومبدأ هامما إنسانيا عادلا ويقول: وهكذا، ولقد وجدت عوضا عن هذا القانون البشري الأساس الغادر، القانون الأساس للقرآن العظيم النازل من العرش الأعظم، وذلك في الآيتين الآيتين: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةً وَّرَزْرُ أَخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤)، ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا... فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)، فهاتان الآيتان تعلمان القاعدة الجليلة الآتية: "لا يؤاخذ أحد بجريرة شخص آخر. ثم إن البريء لا يضحي به - حتى من أجل جميع الناس - دون رضاه، ولكن لو ضحي بنفسه بإرادته وبرضاه فتلك مرتبة الشهادة". هذه القاعدة الجليلة هي التي ترسي العدالة الحققة في البشرية"^(١).

(١) الملاحق ص: ١٦٢.

(٢) الملاحق ص: ١٦٢.

(٣) الملاحق ص: ٣٥٧.

(١) الملاحق ص: ٣٥٧.

العدالة الاجتماعية

ادعت الشيوعية إقامة العدالة الاجتماعية والمساواة بين جميع أفراد المجتمع حيث توزع الثروات على الناس على السواء ولن تكون للفرد ملكية بل كل ثروات البلاد تكون ملكية للدولة- وكان الغرض منه إزالة الفوارق الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء ومحو الحواجز بين المؤسرين والمعوزين حيث لا تبقى في المجتمع طبقات اجتماعية عليا ووسطى وأدنى. وكذلك يقضي كل فرد حياة سعيدة بدون أي هموم للمسكن والمأكل والوظيفة أي المستقبل ويعمل بكل هدوء واطمئنان ويعيش حياة مطمئنة رغبة إذ عليه أن يعمل وعلى الدولة أن توفر كل ما يحتاج إليه. ولكن شهد تاريخ البشرية في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات أن دول الاتحاد السوفياتي تساقطت واحدة تلو أخرى. وظهرت للعالم نتائج ادعاءات الشيوعية أن الناس يجوعون لقطعة خبز ويتحاربون عليها. ومن جانب آخر شهد العالم رئيس تشيكوسلوواكيا يتمتع بعشرات القصور الفخمة المؤثثة بكل أدوات الزينة والترفيه. وفشلت الشيوعية في كل ادعاءاتها فشلا ذريعا وكادت أن تموت في عقر دارها لولا أنها أجرت تعديلات جذرية على نظامها وإدارتها. ورغم ذلك لا تزال تحتضر فيها.

وأما الرأسمالية فهي لا تزال تسود على العالم تحت زعامة القوى الغربية التي تقر بملكية الأفراد والمجموعات ولكنها أحدثت فجوة عميقة بين الأثرياء والفقراء فأصحاب الأموال والثروات يزدادون ثروة ومالا كل يوم باستغلال العمال والأجراء فهم يكفون ويجدون ولا يجدون ما يسد به احتياجاتهم والأغنياء يكتسبون بفضل أموالهم أضعافا مضاعفة فاليوم في عصر العلوم والتكنولوجيا والعملة يؤظف أصحاب الأموال والشركات مئات وألوف من الناس ويكتسبون بعرق جبينهم ويشيدون قصورا لأنفسهم ولأجيالهم القادمة بينما الأجراء والعمال والموظفون الذين يحتاجون إلى لقمة العيش لأنفسهم ولذرائعهم يعملون ويكسبون لهم وهكذا يستعبدون الناس بأموالهم وبها يبسطون نفوذهم في الطبقات الحاكمة ويحصلون مزايا وتراخيص ويستمررون في استغلال عامة الناس.

جاء الاسلام ليقيم العدل والقسط بين الناس ويضمن العدالة في المجتمع لكي لا يعتدى أحد على أحد وكذلك الحكام والحكومات أن تقيم العدل بين الناس وتوفر بيئة صالحة لتنمية وتطور الأفراد والمجموعات بدون تمييز. وأرسى قواعد محكمة وأعطى مبادئ ثابتة لمحو كافة أنواع التمييز وعوامل التفريق بين الناس فأولا صرح أن كل بني آدم خلق لله

الواحد القهار وهم من أب واحد خلقه من طين لازب وما من أناس أو مجموعة خلقت مفضلة محبة دون غيرهم أو غيرها. كما أعلن أن الفضيلة والشرف والكمال يكمن في صالح الأعمال وليس في الحسب والنسب والعرق والنسل واللون والمكان الجغرافي حيث قال عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣) فالناس كلهم عباد الله وأولاد آدم أي من أسرة واحدة. وكذلك محالفات الفوارق التمييزية من اللون والمكان الجغرافي فقد أعلن النبي ﷺ بمناسبة حجة الوداع: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى^(١). وفي رواية أخرى قال ﷺ: "لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، والناس من آدم وآدم من تراب"^(٢).

المساواة أمام القضاء والقانون: يضمن الإسلام العدالة بين جميع أبناء آدم ويوفر لها مبادئ وأسس صارمة للمساواة أمام القانون والقضاء إذ العدالة ليست بعدالة إذ لا توفر المساواة وقرر أن كل شخص أيما كان، يكون سواء أمام القانون والقضاء وعلى الجميع أن يمثل للقاضي ويمثل أوامره بغض النظر عن أنه حاكم أم محكوم، صاحب القصر أم صاحب الكوخ. ويطبق قانون الدولة على جميع الناس على السواء حيث قال النبي ﷺ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"^(٣) وكذلك الإمام علي عليه السلام قدم أسوة عظيمة خلال حكمه حيث وقف بين يدي القاضي مثل رجل عادي وكان خليفة للمسلمين آنذاك. والمدعى عليه كان من غير المسلمين أي يهوديا ولكن عومل معاملة متساوية مع خليفة المسلمين. الأمر الذي يدل بوضوح على أن كل شخص سواء كان خليفة وحاكما أو مسلما عاديا أو غير مسلم متساوٍ أمام القانون والقضاء.

الفرص المتساوية للجميع: الإسلام يوفر فرص متساوية للجميع لكي يتطور كل فرد وجماعة بغض النظر عن انتماءاته العرقية والدينية وميوله المذهبية والاجتماعية ونظرياته السياسية. ويضمن عاليا مواهب ومؤهلات كل فرد ويشجعه على استغلالها في صالح ذاته

(١) رواه أحمد في مسنده.

(٢) الراوي: جابر بن عبد الله، المصدر: غاية المرام للألباني الرقم: ٣١٣.

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم.

ومجتمعهم. وليس معنى ذلك أن الذي يعمل ويكد والذي لا يعمل ولا يجتهد سيات وكذلك لن يكون عالم وغير عالم سواء ويعاملان نفس المعاملة بل يوفران الفرص حسب مؤهلاتهم وطاقاتهم ويشجعان على العمل بصدق وإخلاص لتنمية مواهبهم وخدمة مجتمعهم. حيث قال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩). وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ (١١) ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ (٢٠) ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾ (٢١) ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ...﴾ (فاطر: ١٩-٢١). وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ...﴾ (المائدة: ١٠٠). وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ...﴾ (ص: ٢٨).

فالإسلام دين الفطرة لا يساوي بين عالم وجاهل وبين ذكي وغبي بل يضع كل شيء في مكانه المناسب ويتيح الفرص والأجور حسب المؤهلات والطاقات البشرية ولن يكون من العدالة أن الذي يعمل والذي لا يعمل يكونان متساويين في المكانة والمكافأة. وإلا يتسبب في الكسل وعدم تشجيع واستغلال الطاقات البشرية مما تؤول إلى حرمان المجتمع الإنساني من إبداعات وإنتاجات المؤهلين. أما ثمار ونتائج العلماء والمثقفين فيأمر أن يشاركوا فيها الناس جميعا بدون أي تمييز وتحفظ.

وينتقد الإمام النورسي بشدة بالطبقات التي تستغل الناس قائلا: "نعم، إنني من حيث النسب ونمط معيشة الحياة من طبقة العوام، ومن الراضين بالمساواة في الحقوق فكرا ومشربا، ومن العاملين على رفض سيطرة طبقة الخواص المسمين بالبرجوازيين واستبداهم منذ السابق وذلك بمقتضى الرحمة وبموجب العدالة الناشئة من الإسلام. لذا فأنا بكل ما أوتيت من قوة بجانب العدالة التامة، وضد الظلم والسيطرة والتحكم والاستبداد. بيد أن فطرة النوع البشري وحكمة خلقه تخالفان قانون المساواة المطلقة، إذ الفاطر الحكيم سبحانه كما يستحل من شيء قليل محاصيل كثيرة، ويكتب في صحيفة واحدة كتبا كثيرة، ويجري بشيء واحد وظائف جمّة، كذلك ينجز بنوع البشر وظائف ألوف الأنواع، وذلك إظهارا لقدرته الكاملة وحكمته التامة"^(١).

الإتلاف والإسراف والاقتصاد: لا يجوز الإسراف والإتلاف في كتاب الشريعة

(١) اللغات ص: ٢٣٧-٢٣٨.

الإسلامية. وعلى الفرد والجماعات والحكومات أن تقدر كيف تحصل الأموال وكيف يكف الناس ويجدون؟ والشعور بأن كل شيء أمانة من الله سبحانه وتعالى وهو المالك الحقيقي له ولا يجوز ادخار الأشياء الضرورية في مكان لأن يشتد الغلاء فيضطر الناس إلى شراءها بأثمان باهظة. ولا يجوز كذلك إتلاف شيء وتضييعه أو تدميره بحيلة أو أخرى بل إذا يكون زائدا عن ضرورات سكان منطقة ترسل إلى الناس يعيشون في أي مكان آخر وهم يحتاجون إلى ذلك. ولكن الحكومات الآن تضيع إنتاجها وغلاتها للحفاظ على أسعار قياسية ولو يجوع الناس في مكان آخر ويموتون لقوت يوم. كما لا يجوز انفاق أو استهلاك شيء إلا بقدر الحاجة ولا يجوز الإسراف والتبذير فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٧). وليس معنى ذلك أن يبخل أحد بنفسه أو عائلته أو أقرابه أو مجتمعه وكذلك الحكومات برعايتها بل يجب أن ينتهج طريقا وسطا حيث قال عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩).

وقد شرح الإمام النورسي الإسراف والاقتصاد والعمل والسعي ضمن تفسير هذه الآية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩). فقد أشارت تلك الرسائل - مستضيئة بنور الآيتين المذكورتين - إلى أن سعادة حياة البشرية منوطه بالاقتصاد وعدم الاسراف، وعلى إثارة الهمم للسعي والعمل والكد... وأنه بهذين الشرطين يتم التآلف والوئام بين طبقتي البشرية، الخواص والعوام^(١).

ويضيف قائلنا: إن المدنية الغربية الحاضرة لا تلقي السمع كليا إلى الأديان السماوية، لذا أوقعت البشرية في فقر مدقع، وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها، وهي تتمادى في تهيج نار الإسراف والحرص والطمع عندها بعد أن قوّضت أساس الاقتصاد والقناعة، وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات. زد على ذلك فقد ألفت - بذلك - الإنسان المحتاج المسكين في أحضان الكسل والتعطيل المدمر، بعد أن شجعتة على وسائل السفاهة. وهكذا بددت الشوق لديه إلى السعي والعمل، فأضاع الانسان عمره الثمين سدى باتباعه هوى المدنية الحاضرة وبسيوره وراء سفاهتها وهوها.

(١) الملاحق ص: ٣٥٨.

زد على ذلك فقد ولدت المدنية في ذلك الانسان المعوز العاطل أمراضا وأسقاما وعللا، إذ أصبحت وسيلة، إلى انتشار مئات من الأوبئة والأمراض في أرجاء المعمورة، بثتها في الأوساط بسوء الاستعمال والإسراف"^(١).

والمطلوب من كل أفراد المجتمع الإسلامي والحكومة أن تنتهج طريقا وسطا في الإنفاق فلا تُصرف أموالا وثروات خاصة أو حكومية إلا في أماكن مسموح بها وكذلك قدر الحاجة فحسب وهذا هو الطريق الذي أشار إليه النبي الكريم ﷺ: "وما عال من اقتصد". فإن المرء لن يكون محتاجا إلى غيره بل مكفيا بذاته لو سلك طريقا وسطا في الإنفاق في حياته العامة والخاصة. ولو يقدر المسلمون قول الرسول ص هذا وعضوا عليه بالنواجذ كمبدأ لحياتهم ستحل جميع مشاكل المسلمين الإقتصادية عبر العالم.

العدالة مع المرأة: يدعى الإسلام أنه يقوم بالعدل مع جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن انتماءاته الدينية والمذهبية والجنسية وغيرها فكيف الأمر بالنسبة للمرأة حيث يعطى الرجل حظين مقابل حظ واحد للمرأة إذا يظلم الإسلام المرأة وقد أجاب الإمام النورسي قائلا:

"فإذا ما أخذت الأنتى الثلث من أبيها (أي نصف ما أخذه الزوج من أبيه) فإن زوجها سيسد حاجتها. بينما إذا أخذ الرجل حظين من أبيه فإنه سينفق قسطا منه على زوجته، وبذلك تحصل المساواة، ويكون الرجل مساويا لأخته. وهكذا تقتضى العدالة القرآنية".

وبالنسبة للزواج والطلاق فأعطى الإسلام المرأة حقا كاملا لأن تختار زوجها لها وبدون رضاها لن ينعقد الزواج. كما سمح للزوجين أن يتفرقا إن يصعب عليهما التعايش بسرور وأمن ويمكن للمرء أن يطلق زوجته بعد محاولات مكثفة للتصالح وكذلك للمرأة أن يطلب الخلع من زوجها إذا لم تتمكن من قضاء حياة آمنة مطمئنة.

العدالة الإقتصادية

أعطى الإسلام مبادئ وأساسا هامة لاقامة العدالة الاقتصادية حيث وضع نظرية أن الملك لله الواحد القهار وهو مالك كل شيء وكل ما بيد الإنسان هو أمانة ووديعة وليس بملكه. وجعل نظام الإرث وفرض الزكوة والصدقات على الناس وحبب الإنفاق في سبيل الله وأعلن أن هذه الدنيا فانية والباقية هي الآخرة وهي مزرعة المؤمن.

(١) الملاحق ص: ٣٥٩-٣٦٠.

الرزق بيد الله: يعلن الله سبحانه وتعالى أنه هو الخالق والرازق لجميع المخلوقات من الجن والإنس والحيوانات والنباتات والجمادات وأعطى ضمانا لكل شخص قائلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨). وهذا الضمان ليس بمقتصر على حضرة الانسان بل يشمل جميع المخلوقات حيث صرح: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦). وبناء على وعده وضمانه حرّم القتل والمهلاك خشية قلة الأرزاق والأقوات وندد وأد البنات مخافة إملاق وجعله من الجرائم البشعة النكراء حيث قال عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۗ﴾ (الأنعام: ١٥١). وقال في مكان آخر: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١).

خلق الله الناس بمواهب شتى وطاقات منفردة وعقول فذة. وكسب الأرزاق وتوزيع المكاسب لا يعتمد على العقول والمواهب بل يتوقف تماما على مشيئة الله عز وجل فيفتح لمن يشاء باب الرزق على مصراعيه ويضيق لمن يشاء وقد قال شاعر:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إذا من جهلهن البهائم

كما قال عز وجل ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: ٢١٢). وكذلك قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ﴾ (الإسراء: ٣٠). فالله سبحانه وتعالى هو الذي يعطي من يشاء وما يشاء. وإلى جانب ذلك لا يريد الله أن تكون الثروات والأموال محتكرة بأيدي عدة ولذا وضع نظاما خاصا لتوزيعها وجعل نظام الإرث والزكوة والإنفاق وبين حقوق الأقرباء والأعزاء والجيران والمجتمع كله.

العمل والسعي: العمل في الاسلام فرض عين على كل مسلم ومسلمة. وليس من العدل أن يكون المسلم عاطلا كسلان لا يجد ولا يكد بل جعل الاسلام العمل فريضة من الفرائض الدينية حيث ذكر العمل جنبا إلى جنب الإيمان في كثير من الأماكن فقد قال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧). وقد حث النبي أصحابه وأتباعه على العمل والجد والكد ورغبهم في العمل باليد وكسب الحلال. فعن المقدم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل

من عمل يده"^(١). وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه"^(٢). وعن حكيم ابن حزام رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم "اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى ومن يستغف الله يغفر الله له"^(٣).

توزيع الثروات: هو من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية وتحقيقاً لها وضع نظام الإرث ونظام الزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله. وألا تكون الأموال والثروات محتكرة بأيادي عدة تتمتع برغد الحياة وانتاجات البشرية ويجرم منها الأغلبية العظمى وأن تدور على الناس جميعاً، اتخذ خطوات عديدة لتوزيع الثروات ومنها:

نظام الإرث: فقد قام الشارع المطلق بتحديد نصيب كل شخص في الميراث حيث قال: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا...﴾ (النساء: ٧). فالإسلام لم يترك الأمر على المورث ولا على الوارثين أن يتصرفوا كيفما يشاؤون بل وضع له نظاماً عادلاً وحدد لكل منهم فرائض وواجبات وجعل لكل منهم حقا أو نصيباً محددًا. وبيّن حكمته وسره قائلاً: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر: ٧) وقام بإيجاد سبل أخرى لتوزيعها ما سوى الزكاة حيث جعل حقوق الأقرباء والأعزاء والجيران في الأموال وقد أوعد النبي صلى الله عليه وسلم بمن يشبع وجاره بيت جوعان. وجعل ذلك جزءاً من الإيمان وأنذره بعواقب وخيمة حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الجار لا يأمن بوائقه، قالوا يا رسول الله! وما بوائقه؟ قال شره."^(٤). ولم يكتف بذلك بل يُمنع من الدخول في الجنة إذا لم يؤد حقوق جاره فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه"^(٥).

وفي الحضارة الغربية ونظام الرأسمالية يعيش المرء لنفسه ويدخر إلى أقصى درجة ممكنة ولو يجوع الناس ويموتون حيث يقال: إن شبت فلا علي أن يموت غيري... وفي الإسلام لا

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٥) رواه مسلم.

يقبل الله من رجل صرفا ولا عدلا إن كان هو شبعان وجاره جوعان فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي ﷺ: (ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعانا وجاره جائع إلى جنبه)^(١). وقد شرح هذه النقطة الإمام النورسي بصورة جذابة وبعبارة قصيرة يجب أن تكتب بماء الذهب. "لو تأملت في مساوئ جميعة البشر لرأيت: أس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية، كلمتين فقط: إحداهما: إن شبعْتُ فلا عليَّ أن يموت غيري من الجوع. والثانية: اكتسب أنت لآكل أنا، وأتعب أنت لأستريح أنا"^(٢).

نظام الزكاة والصدقات والانفاق في سبيل الله: وضع الإسلام نظام الزكاة وقدر فيه حصصا ونصبا لكل شريحة من شرائح المجتمع وفيه حق للسائل والمحروم، وجعل القرآن البنود التي تنفق فيها أموال الزكاة والصدقات: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَةَ فَلُوهُمُ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠). ولم يكتف بذلك بل حث الناس على الإنفاق في سبيل الله أي تطوعا وابتغاء مرضاة الله وفيه آيات كثيرة ﴿لَن نَّأَلُوا الرِّحَىٰ حَتَّىٰ تَفْقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢). ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩). وكذلك ذم الذين يكتنون الذهب والفضة ولا ينفقون في سبيل الله حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (التوبة: ٣٤-٣٥). وشرحا لمصالح الزكاة ومنافعها للبشرية يُعتبر نظام الزكاة قنطرة الاسلام.

كما حرم الله سبحانه الربا (ومنه "الفوائد" المصطلح المستخدم حاليا) إذ أن الزكاة تتسبب في البركة والنمو في المال والمواشي والتجارة. والربا وسيلة لامتنعاص دمء العمال والأجراء ويقطع صلة التراحم والتعاطف والتضامن بين مختلف أعضاء المجتمع. ويزيد طمع الأغنياء في المال وحبه وجمعه وادخاره فالإسلام يريد أن يستأصل جذور الطمع في المال من قلوب الناس ويغرس فيهم حب الإنسانية والكرم والجود. وهذا مما يتسبب في عدم تجمع

(١) المستدرك للحاكم.

(٢) المكتوبات ص: ٦٠٤-٦٠٥.

الأموال في أيادي عدة واحتكارهم إياها وازدياد الأغنياء غنى والفقراء فقرا.

فالصلاة رمز عن حقوق الله والزكوة عن حقوق العباد والهدف منها إزالة الفجوة الاقتصادية من المجتمع وأن يجعلها عاملا للتنافس في الخير والسعي لحصول مرضاة الله ويعم بها روح الأخوة والتعاون والتساند في ما بين الناس. وتفسيرا للآية ﴿وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: ٣) يشرح الإمام النورسي هذا المبدأ: "وفيها إدامة تصور عظمة الصانع في القلوب وتوجيه العقول إليها لتأسيس إطاعة قانون العدالة الإلهية، وامثال النظام الرباني، والإنسان يحتاج إلى تلك الإدامة من حيث هو إنسان لأنه مدني بالطبع... فيا ويل من تركها! ويا خسارة من تكاسل فيها! ويا جهالة من لم يعرف قيمتها! فسحقاً وبعدا وأفا وتفاً لنفس من لم يستحسنها"^(١).

﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُقُونَ﴾ (البقرة: ٣) وجه النظم: أنه كما أن الصلاة عماد الدين وبها قوامه، كذلك الزكاة قنطرة الإسلام وبها التعاون بين أهله. ثم إن في الحديث الصحيح "الزكاة قنطرة الاسلام" أي الزكاة جسر يغيث المسلم أخاه المسلم بالعبور عليها إذ هي الواسطة للتعاون المأمور به، بل هي الصراط في نظام الهيئة الاجتماعية لنوع البشر، وهي الرابطة لجريان مادة الحياة بينهم، بل هي الترياق للسموم الواقعة في ترقيات البشر^(٢).

منع الربا ومصالحة: قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥) يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّالِّينَ أَنَّهُمْ خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ (البقرة: ٢٧٥-٢٧٩). وقال عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ (آل عمران: ١٣٠-١٣١). وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ الْيَرَبُوءُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُوءُ عِنْدَ

(١) إشارات الإعجاز ص: ٥٠.

(٢) إشارات الإعجاز ص: ٥٠-٥١.

اللَّهُ وَمَا أَيْتَمَّرَ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ (الروم: ٣٩).

وقد منع النبي ﷺ بشدة عن الربا وحذر الناس من سوء عواقبه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَالسَّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ وَقَدْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِيَاتِ" (١). وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكِلَ الرِّبَا وَمُؤَكَّلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ" (٢). وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دِمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ فِإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ فَجَعَلَ كُلُّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ مَا هَذَا فَقَالَ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّهْرِ أَكِلُ الرِّبَا" (٣).

فالأيات القرآنية بينة وواضحة في تحريم الربا ولا تحب الشريعة الإسلامية أن يتفشى الربا في المجتمع الإسلامي بل الزكاة والانفاق في سبيل الله. ولم يكنف الشارع بحظر الربا بل أعلن حرباً على من يأخذ ويعطي الربا. وفي الأحاديث النبوية الكريمة أوضح النبي ص المبدأ القرآني أن الله يحب الزكاة وينمي النظام الاقتصادي المبني على الزكاة ويمحق الربا والنظام المبني على الربا ويعلن الحرب ضده. فأوضح بشاعة هذا الربا بمثال أنه رأى في نار جهنم رجلاً كان يحاول أن يخرج منها فما كان أن يخرج منها ولعن الآخذ والمعطى حتى الشاهدين والكتابين. ولما شاهد الإمام النورسي العالم الإسلامي وسوء أحواله والإقتصاد الغربي المتألئ الذي يكن في طيه جميع أنواع الشرور والمآثم وأنه يسعى لأن يتسرب إلى المجتمع الإسلامي بوسائل شتى وتحت مسميات جذابة دعا بكل قوة إلى تجنبه وتركه والتمسك بنظام الزكاة الذي يحب الله ورسوله. فيكتب الإمام النورسي بهذا الصدد "نعم، في وجوب الزكاة وحرمة الربا حكمة عظيمة ومصلحة عالية، ورحمة واسعة، إذ لما أمعنت النظر في صحيفة العالم نظراً تاريخياً وتأملت في مساوي جمعية البشر لرأيت أسس أساس جميع اختلالاتها وفسادها ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية كلمتين فقط: إحداهما: إن شبعت فلا علي أن يموت

(١) البخاري و مسلم والنسائي وأبو داود.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) البخاري ومسلم والترمذي وأحمد.

غيري من الجوع. والثانية : اكتسب أنت لآكل أنا واتعب أنت لأستريح أنا". فالكلمة الأولى الغدارة النهمة الشنعاء هي التي زلزلت العالم الإسلامي فأشرف على الخراب. والقاطع لعرق تلك الكلمة ليس إلا الزكاة. والكلمة الثانية الحريصة الشوهاء هي التي هارت بتريقات البشر فأوشك أن تنهار بها في نار المهرج والمرج والمستأصل والداوئ لتلك الكلمة ليس إلا حرمة الربا فتأمل!"^(١).

ويضيف قائلاً: "إن عدالة القرآن تقف على باب العالم وتصيح في الربا: ممنوع، لا يحق لك الدخول! إن البشرية لما لم تصغ إلى هذا الكلام تلقت صفة قوية. وعليها أن تصغي إليها قبل أن تتلقى صفة أقوى وأمر"^(٢).

السعادة البشرية

ما هي السعادة البشرية وكيف يمكن تحقيقها. ففي كتاب الغرب تحقيق كل ما يسر المرء ويسد به حاجاته ويتمتع بها في هذه الدنيا هي السعادة وتنحصر عموماً على حصول الكرامة والمكانة في المجتمع والملبس والمأكل والمأوى (البيت) وغيرها من أسباب الزينة في هذه الحياة الدنيوية. ويقول المثل السائر بالفارسية "با بر بعيش كوش كه عالم دوباره نيست" يعنى تمتعوا في هذه الدنيا إلى أقصى درجة ممكنة إذ لن يقوم يوم القيامة ". إلا أن الإسلام جعل هذه الدنيا مزرعة الآخرة حيث ينال المرء السعادة الحقيقية ولكن لا ينكر السعادة الدنيوية إلا أنه يفضل السعادة الأخروية وهي السرمدية وغير المتناهية حيث يجد كل شخص ما تشتهي الأنفس وما تلذ به الأعين. وقد أوضح الإمام النورسي هذا المبدأ بعبارات مختلفة منتشرة في كليات رسائل النور ويكتب: "أمن الممكن لخالق ذي جلال أظهر سلطان ربوبيته بتدبير قانون الوجود ابتداء من الذرات وانتهاء بالجمرات، بغاية الحكمة والنظام وبمنتهى العدالة والميزان.. أن لا يعامل بالإحسان من احتموا بتلك الربوبية وانقادوا لتلك الحكمة والعدالة، وأن لا يجازي أولئك الذين عصوا بكفرهم وطغيانهم تلك الحكمة والعدالة؟

بينما الإنسان لا يلقي ما يستحقه من الثواب أو العقاب في هذه الحياة الفانية على وجه يليق بتلك الحكمة وتلك العدالة إلا نادراً بل يؤخر، إذ يرحل أغلب أهل الضلالة دون

(١) إشارات الإعجاز ص: ٥٠-٥٢.

(٢) المكتوبات ص: ٦٠٤-٦٠٥.

أن يلقوا عقابهم، ويذهب أكثر أهل الهداية دون أن ينالوا ثوابهم. فلا بد من أن تناط القضية بمحكمة عادلة، وبلقاء آيل إلى سعادة عظمى" (١).

وفي مكان آخر يشرح نفس المبدأ "هكذا فإن إحدى غايات قضاء الحياة - الشخصية والاجتماعية - في فترة قصيرة في هذه الدنيا هي أخذ الصور وتركيبها، وحفظ نتائج الأعمال، ليحاسب أمام الجميع الأكبر، وليعرض أمام العرض الأعظم، وليهيا استعداده ومواهبه للسعادة العظمى، فالحديث الشريف الدنيا مزرعة الآخرة يعبر عن هذه الحقيقة. وحيث أن الدنيا موحودة فعلا، وفيها الآثار الظاهرة للحكمة والعناية والرحمة والعدالة فالآخرة موجودة حتما وثابتة بقطعية ثبوت هذه الدنيا. وكما أن الأجل والقبر ينتظران الانسان، فإن الجنة والنار كذلك تنتظرانه وتترصدانه" (٢).

الجنة والنار من مظاهر العدالة الإلهية: وما دام الرب سبحانه - كما في هذه الحقيقة - يجب الإنسان ويحبب نفسه إليه، وهو باق وله عوالم باقية، ويجري الأمور وفق عدالته، ويعمل كل شئ وفق حكمته، وأن عظمة سلطان هذا الخالق الأزلي وسرمدية حاكميته لا تحصرهما هذه الدنيا القصيرة، ولا يكفيهما عمر الإنسان القصير جدا، ولا عمر هذه الأرض المؤقتة الفانية، حيث يظل الإنسان دون جزاء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وقائع الظلم، وما يقترفه من إنكار وكفر وعصيان، تجاه مولاه الذي أنعم عليه ورياه برأفة كاملة وشفقة تامة، مما ينافي نظام الكون المنسق، ويخالف العدالة والموازنة الكاملة التي فيها، ويخالف جماله وحسنه، إذ يقضي الظالم القاسي حياته براحة، بينما المظلوم البائس يقضيها بشظف من العيش، فلا شك أن ماهية تلك العدالة المطلقة - التي يشاهد آثارها في الكائنات - لا تقبل أبدا، ولا ترضى مطلقا، عدم بعث الظالمين العتاة مع المظلومين البائسين يتساوون معا أمام الموت" (٣).

ويكتب شرحا للآية ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنت تجري...خلدون﴾ (البقرة: ٢٥). أما نظم جملها بعض مع بعض، فاعلم أن السلك الذي نظم فيه جواهر جمل هذه الآية وسلسلتها هي: أن السعادة الأبدية قسمان: الأول رضاء الله

(١) الكلمات ص: ٦٨.

(٢) الكلمات ص: ٩٢-٩٣.

(٣) الشعاعات ص: ٢٢٢.

تعالى وتلطيفه وتجليه وقرنته. والثاني السعادة الجسمانية وهي بالمسكن والمأكل والمنكح وتممها ومكملها جميعا هو الدوام والخلود"^(١).

سؤال: كيف يكون البقاء في سجن جهنم بقاءً خالداً جزاءً عادلا لكفر في زمن قصير؟ **الجواب:** إن القتل الذي يحصل في دقيقة واحدة يعاقب عليه بسبع ملايين وثمانمائة وأربع وثمانين ألفا من الدقائق - على اعتبار السنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوما- فإن كان هذا قانونا عادلا، فالذي يقضي عشرين سنة من عمره في أحضان الكفر ويموت عليه يستحق جزاءً بمقتضى هذا القانون العادل للبشر سجننا يدوم سبعة وخمسين ترليوناً وواحداً ومائتي مليار ومائتي مليون من السنين، باعتبار أن دقيقة من الكفر تعادل ألف قتل ويمكن أن يفهم من هذا الانسجام مع عدالة قوله تعالى «خالدين فيها»^(٢).

إن سر العلاقة بين العديدين المتباعدين جدا بعضهما عن بعض، هو أن الكفر والقتل تخريب وتعدّ على الآخرين، ولهما تأثير في الآخرين، فالقتل الذي يحصل في دقيقة واحدة يسلب خمس عشرة سنة في الأقل من حياة المقتول، حسب ظاهر الحال، لذا يسجن القاتل بدلا منه، فدقيقة واحدة في الكفر الذي هو إنكار لألف اسم واسم من الأسماء الحسنى وتزييف لنقوشها البديعة... واعتداء على حقوق الكائنات.. وانكار لجمالها... وتكذيب لدلائل الوحدانية التي لا تحد ورد لشهاداتها.. تلقي بالكافر في أسفل سافلين لأكثر من ألف سنة، فتسجنه في قوله تعالى "خالدين"^(٣).

إن قلت إن معصية الكفر كانت في زمان قليل والجزاء أبدي غير متناه فكيف ينطبق هذا الجزاء على العدالة الاجتماعية الإلهية؟ وإن سلّم فكيف يوافق الحكمة الأزلية؟ وإن سلم فكيف تساعد الرحمة الربانية.

قيل لك: مع تسليم عد تناهي الجزاء، إن الكفر في زمان متناه وجناية غير متناهية بست جهات... فمن مزج هذه الجهات الست يستنتج أن الجزاء الغير المتناهي إنما هو في مقابلة الجناية الغير المتناهية وما هو إلا عين العدالة^(١).

(١) إشارات الإعجاز: ٩٠-٩١.

(٢) البيئنة: ٦.

(٣) اللمعات ص: ٤١٢.

(١) إشارات الإعجاز ص: ٨٣-٨٤.

وختلاصة القول إن هذا الكون قائم على العدالة الإلهية وسائرة بموجب العدل الإلهي والمطلوب من حضرة الإنسان أن تقضي حياته منسجمة مع نظامه ويقيم العدل في حياته وفي مجتمعه ليتمتع بمرضاة خالق هذا الكون الحكيم العدل ويسعى لتحقيق حياة سعيدة ويجعل همهم الأول والوحيد السعادة الأخروية رجاء أن ينعم عليه سبحانه وتعالى ويدخله في جناته النعيم.

المراجع والمصادر:

- البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل،: صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٢م.
- النيسابوري، أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري،: صحيح مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط/١، ٢٠٠٦م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب،: المفردات في غريب القرآن، (تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني) دارالمعرفة، بيروت، لبنان (عام الطباعة غير مذكور).
- سيد قطب،: العدالة الإجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، مصر، عام ١٩٩٥م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: اللغات، ترجمة: احسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠١٣م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: إشارات الإعجاز في مضان القرآن، تحقيق: احسان قاسم الصالحي، شركة سولزر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السادسة، ٢٠١١م،
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر - القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠١٣م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: الكلمات، دار سولزر للنشر- استانبول، الطبعة الثالثة: ١٩٩٨م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر - استانبول، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر - القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠١٣م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر - القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠١٣م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر - القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠١٣م.